زَيْدُ بنُ عَلِيٍ عليه السلام في تَفْسِيرِ القُرْطُبِيِّ

(دراسة وصفية)

أ.م.د. عبد الكريم نعمة النفاخ
كلية التربية الاساسية - جامعة الكوفة

د. عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي
مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة

ملخص البحث:

يعد زيد بن علي عليه السلام من علماء أهل البيت ومفكريهم، لذلك استحق دراسة تقوم على وصف أثره في التفسير واخترنا تفسير القرطبي، لما ورد فيه من أراء، فقد كان البحث قد بني على تمهيد لدراسة مكانة زيد الشهيد العلمية، ومن ثم قسم البحث على مطلبين: الأول: اهتم بدراسة آراءه في التفسير ما وافق فيه الجمهور وما اتلف فيه عنهم، والمطلب الثاني: تناول دراسة قراءاته القرآنية، وما تفرد به من قراءات، وختم البحث بخاتمة أوجزنا فيها ما توصلنا من نتائج.

زيد بن علي عليه السلام في تفسير القرطبي -دراسة وصفية:

المقدمة:

يعد زيد بن علي عليه السلام من علماء أهل البيت ومفكريهم، ولا غرابة في ذلك فقد نشأ وترعرع في حضن الإمامة التي هي صنو الرسالة المحمدية، إذ تتلمذ على يدي أبيه زين العابدين وسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليه السلام وأخذ وافرا من العلم من أخيه الإمام محمد الباقر عليه السلام ومثل هذه النشأة حري بها أن تصقل فكره وتوسع

مداركه وتجعله يقف على علوم القرآن والحديث النبوي من منابعه الأصيلة، مما جعله في ما بعد محط أنظار العلماء الذين جاءوا من بعده، إذ وجدوا فيه الخزين الذي لا ينضب من العلوم، فتناقلوا آراءه شفاها إلى أن جاء عصر التدوين الذي دونت به تفسير القرآن الكريم وأحكامه والآراء الفقهية التي لها علاقة بالقرآن والحديث النبوي الشريف، ولأرائه العلمية السديدة، فقد أعتمد أغلب أصحاب التفاسير على أرائه التفسيرية وعلى قراءاته القرآنية ومن أولئك المفسرين القرطبي[1] الذي أعتمد على بعض تفسيرات زيد للنصوص القرآنية وعلى بعض القراءات التي انفرد بها زيد الشهيد عليه السلام ومن ثم تأتي أهمية اختيار تفسير القرطبي لأنه يمثل تفسير جامع لأراء مختلفة سبقته، ويحظى هذا التفسير بمكانة علمية مرموقة بين التفاسير، فهو جامع لأراء الصحابة و التابعين بشكل عام ولآراء أهل البيت بشكل خاص، ولذا يصبح هذا التفسير مثالا ملائما للدراسة، ومن ثم أساسا صالحا لتقديم فكر الشهيد زيد بن علي عليه السلام الى المتلقي والقارئ الكريم بوصفه مثالا يحتذى به للشخص الملتزم بعقيدته الذي رفض الذل والخضوع للحاكم المستبد. وقد اقتضت الدراسة أن يبنى البحث على مطلبين، يسبقهما تمهيد، وفيه يتناول الباحثان مكانة زيد الشهيد عليه السلام العلمية.

أما المطلب الأول: فسوف يقف الباحثان على بعض تفسيراته لآيات القرآن الكريم التي أختلف في تفسيرها مع الآخرين أو اتفق فيها مع المفسرين الآخرين.

أما المطلب الثاني: فيتناول قراءته لبعض لآيات القرآنية والتي له رأي فيها.

وختمنا البحث بأهم النتائج تتلوها قائمة المصادر والمراجع التي أعتمدها البحث.

تمهيد: مكانة زيد الشهيد العلمية:

يشير المقريزي في كتابه (الخطط المقريزية) أن زيد الشهيد قال ((خلوت بالقرآن ثلاث عشرة سنة أقرأه وأتدبره، فما وجدت في طلب الرزق رخصة وما وجدت من

(١) هو محمد بن أحمد أبي عبد الله الخزرجي الأنصاري القرطبي صاحب التفسير المشهور توفي سنة ٦٥٦هـ، ينظر: الوافي بالوفيات: ١/ ٢٠٠.

فضل الله إلا العبادة والفقه))[٢] ويبدو من هذا النص أن الشهيد كان حليف القرآن منذ صباه، مما أهله لأن يكون مفسرا للقرآن الكريم، فضلا عن مدارسته للقرآن الكريم فقد اهتم بالحديث النبوي الشريف، فقد أخذ الحديث من منابعه الصافية عن أبائه وأجداده ومن بعض التابعين أمثال أبان بن عثمان[٣] وعده الجاحظ (٢٥٥هـ) من خطباء بني هاشم[٤] فقد كان يمتلك لسانا عذبا واضح البيان، وقوي الحجة وهو يتفنن في صياغة الكلام بما يترك أثرا طيبا في نفس المتلقي، وهذه الملكة تعتمد على حافظة عجيبة، إذ يمتلك القدرة على حفظ الرسالة التي تلقى على مسامعه، فيعيده كاملة ويجيب عما ورد فيها من السائل[٥] ومما يؤكد قولنا ما نجده واضحا في خطبته التي خطبها على أصحابه عندما عزم الخروج على هشام بن عبد الملك فقال((الحمد لله الذي منّ علينا بالبصيرة وجعل لنا قلوباً وأسماعناً واعية، قد أفلح من جعل الخير شعاره و الحق دثاره، وصلى الله على خير خلقه الذي جاء بالصدق من عند ربه وعل آله الطاهرين... أيها الناس العجل العجل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل كم طالب لا يفوته هارب إلا هارب هرب منه إليه، ففروا الى الله بطاعته... فقد أسمعكم وأبصركم ودعاكم إليه... ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون...))[٦] والذي يتمعن في كلمات هذه الخطبة وتأمل في صياغتها وأساليبها يجدها أشبه بكلام أمير المؤمنين عليه السلام وخطبه التي جمعها الشريف الرضي وأسماها بنهج البلاغة، كما يبدو عليها تاثره بأسلوب أبيه في الصحيفة السجادية، فضلا عن تأثره بالقرآن الكريم، ولهذا ما كانت تنقصه آلة من آلات الفصاحة والبلاغة، فقد كان إذا تكلم لا يعيد حرفاً وهذا ما شهد به العدو قبل الصديق ومن ذلك ما قاله هشام بن عبد الملك: إن زيداً (حلو اللسان شديد البيان،

(٢) الخطط المقريزية: ج٢/ ٤٣٦.
(٣) تهذيب ابن عساكر: ٦/ ١٥.
(٤) البيان والتبيين: ١/ ١٤٤.
(٥) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٣٩ والحدائق الوردية: ١/ ١٤٩.
(٦) زيد الشهيد، المقرم: ٣٢-٣٣.

خليقاً بتمويه الكلام وأهل العراق أسرع شئ إلى مثله))[٧]، ويكشف هذا النص أن زيد الشهيد كان بليغا متمكناً من اللغة قادراً على إيصال أفكاره إلى متلقيه بسهولة تغلفها جمالية الأسلوب الذي لا ينكر تأثيره في المتلقي العربي في ذلك الزمن فضلا عن أن هذه النصوص الخطابية ظلت خالدة لأنه امتلكت مقومات البقاء الفنية والفكرية وهي تمثل مقدرة باهرة يتميز بها الشهيد زيد، ولا غرابة في ذلك فهو سليل دوحة العلم التي اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

ومن آثاره العلمية التي أشار إليها الباحثون: فهو أول من دون التفسير والحديث والفقه تدويناً منظما، يقول عنه الشعبي (١٠٣هـ) (والله ما ولد النساء أفضل من زيد بن علي ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد)[٨] كما وصفه الذهبي بقوله (كان ذا علم وجلالة وصلاح)[٩] ويدلنا على مكانة زيد العلمية في زمانه أنه كان عالما في المسائل الفقهية وله فيها ما أخذه عنه العلماء وثبتوه في تفاسيرهم ونوهوا بقدرته، مما أدى ذلك الى اعتماد الفقهاء عليها في استنباط الأحكام الشرعية، وذلك ما أشار إليه أبو حنيفة النعمان بقوله (شاهدت زيد بن علي كما شاهدت أهله فما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أعلم ولا أسرع جواباً ولا أبين قولا، لقد كان منقطع القرين، وكان يدعى بحليف القرآن)[١٠] واعتراف صريح من أحد أقطاب المذاهب الإسلامية بمكانة زيد العلمية، وابلغ قول الإمام الصادق عليه السلام فيه كان (زيد مؤمناً وكان عارفاً وكان عالماً وكان صدوقاً أما أنه لو ظفر لوفى، أما أنه لو ملك لعرف كيف يصنعها)[١١] وكل هذه الأقوال التي اخترنا منها القليل لتدل على المكانة العلمية لزيد الشهيد عليه السلام.

(٧) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٣٢٥.
(٨) الخطط المقريزية: ٤/ ٣٣٥.
(٩) سير أعلام النبلاء: ٢٥/ ٣٨٩.
(١٠) الروض النضير: ٩٨.
(١١) رجال الكشي: ١٨٤.

المطلب الأول:

آراؤه التفسيرية لبعض الآيات

عرف زيد بن علي بأنه عالم من علماء أهل البيت عليهم السلام إذ تجمعت فيه علوم جمة، منها روايته للحديث النبوي الشريف ومروياته للأخبار فضلا عن تفسيره للقرآن الكريم الذي توجه بتفسير سمي بتفسير القرآن، ولا غرابة في ذلك لأن التفسير صنو الحديث النبوي الشريف وقد وردت لفظة التفسير في القرآن الكريم، قال تعالى ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [سورة الفرقان: ٣٣] وعلى هذا فإنّ التفسير مأخوذ من مصدر فسر وهو الإبانة أو الكشف والظهور أو كشف المراد عن اللفظ المشكل[١٢] ويتبين من التعريفات أنّ لفظة التفسير يراد بها، الإبانة والكشف والتوضيح والإظهار، وذلك بإظهار الماديات والكشف عن المعنويات، ثم تحول بعد ذلك الى علم يبحث في القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى قدر الطاقة البشرية.

فالقرآن جامع للأحكام وهو أساس الدين ومنه تستنبط شرائع الدين، وقد وصفه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بقوله: ((واعلموا إنّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى أو نقصان من عمى.. ولا أحد قبل القرآن من غنى فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم فان فيه شفاء من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق والغيّ والضلال..))[١٣].

ولهذا اهتم علماء المسلمين بتفسير القرآن الكريم نظرا لما لهذا العلم من أهمية بالغة في استنباط الأحكام الشرعية وتشريع القوانين لديمومة الحياة، ومن بين أولئك العلماء زيد بن علي عليه السلام الذي أجاد وبرع في التفسير، وقد نقل لنا القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) مجموعة من تفسيراته لبعض آيات القرآن الكريم التي له فيها توجيه

(١٢) شرح نهج البلاغة: ١٣/ ٨٨ -٨٩.
(١٣) لسان العرب: ٥/ ٥٥.

تفرد به عن سواه من المفسرين أو وافقهم في ما ذهبوا إليه.

أولا: التفسيرات التي تفرد بها:

١. جاء في تفسير القرطبي لقوله تعالى: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ٢٦] جملة من التفسيرات منها: أنه ذكر أن التقوى خير لباس كما قال:

(إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى... تقلب عريانا وإن كان كاسيا).

(وخير لباس المرء طاعة ربه... ولا خير فيمن كان لله عاصيا).

وروى قاسم بن مالك بن عوف عن معبد الجهني قال: لباس التقوى الحياء.

وقال ابن عباس: لباس التقوى هو العمل الصالح وعنه أيضا: السمت الحسن في الوجه وقيل: ما علمه عز و جل وهدى به وقي: لباس التقوى لبس الصوف والخشن من الثياب مما يتواضع به لله تعالى ويتعبد له خير من غيره، وقال عروة بن الزبير: هو الخشية لله وقيل: هو استشعار تقوى الله تعالى فيما أمر به ونهى عنه.

في ما قال زيد بن علي: لباس التقوى الدرع والمغفر والساعدان والساقان يتقى بهما في الحرب و علق القرطبي على قول زيد بن علي ((حسن فإنه حض على الجهاد))[١٤] وكأن التقوى عنده عدم العدول عن سنن الحق قولا وفعلاً، وهذا تفسير قد غاير فيه المفسرين.

٢. أما التفسير الثاني الذي تفرد به عن سواه، تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا ﴾ [سورة التوبة: ٤١] اذ قال زيد: (مشاغيل وغير مشاغيل) اما بقية المفسرين فلهم أراء مختلفة منها:

الأول: يذكر عن ابن عباس {فانفروا ثبات أو}: سرايا متفرقين الثاني –روي عن ابن عباس أيضا و قتادة: نشاطا وغير نشاط الثالث –الخفيف: الغني والثقيل الفقير قاله مجاهد الرابع –الخفيف: الشاب والثقيل: الشيخ قاله الحسن الخامس الثقيل: الذي له عيال والخفيف: الذي لا عيال له قاله زيد بن أسلم السادس الثقيل: الذي له ضيعة يكره

(١٤) تفسير القرطبي: ٧/ ١٦٢.

أن يدعها والخفيف: الذي لا ضيعة له قاله ابن زيد السابع –الخفاف: الرجال والثقال: الفرسان قاله الأوزاعي الثامن –الخفاف: الذين يسبقون إلى الحرب كالطليعة وهو مقدم الجيش والثقال: الجيش بأسره التاسع –الخفيف: الشجاع والثقيل: الجبان حكاه النقاش والصحيح في معنى الآية أن الناس أمروا جملة أي انفروا خفت عليكم الحركة أو ثقلت[١٥].

٣. ومن تفسيراته لقوله تعالى ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [سورة فاطر: ٣٧] فقد ذكر القرطبي مجموعة من التفسيرات منها: أن النذير هو القرآن و هذا ما فسره ابن عباس و عكرمة و سفيان و وكيع و الحسين بن الفضل و الفراء و الطبري: هو الشيب وقيل: النذير الحمى وقيل: موت الأهل والأقارب وقيل: كمال العقل والنذير بمعنى الإنذار، بينما فسره زيد بأنه الرسول، ويعلق القرطبي على ذلك بقوله: أن النذير هو الشيب والحمى وموت الأهل كله إنذار بالموت [قال ﷺ: (الحمى رائد الموت)] قال الأزهري: معناه أن الحمى رسول الموت أي كأنها تشعر بقدومه وتنذر بمجيئه والشيب نذير أيضا لأنه يأتي في سن الاكتهال وهو علامة لمفارقة سن الصبا الذي هو سن اللهو واللعب، (رأيت الشيب من نذر المنايا... لصاحبه وحسبك من نذير)[١٦].

وراي زيد أكثر شمولية لأنه جمع تضمن أغلب الآراء.

ثانيا: التفسيرات التي اتفق فيها مع المفسرين:

١. ومن تفسيراته التي اتفق بها مع الجمهور ما نجده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ [سورة الدخان: ١٠] فقد قال القرطبي: ان لفظة (ارتقب) معناه انتظر يا محمد بهؤلاء الكفار يوم تأتي السماء بدخان مبين وهو قول قتادة.

(١٥) ينظر: تفسير القرطبي: ٨/ ١٣٦.

(١٦) تفسير القرطبي: ١٤/ ٣٠٦.

وقيل: معناه احفظ يا محمدﷺ قولهم هذا لتشهد عليهم يوم تأتي السماء بدخان مبين ولذلك سمي الحاف رقيبا، ثم ذكر القرطبي في الدخان أقول ثلاثة: الأول أنه من اشراط الساعة لم يجئ بعد وأنه يمكث في الأرض أربعين يوما يملأ ما بين السماء والأرض فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام وأما الكافر والفاجر فيدخل في أنوفهم فيثقب مسامعهم ويضيق أنفاسهم وهو من آثار جهنم يوم القيامة وممن قال إن الدخان لم يأت بعد علي وابن عباس وابن عمر وأبو هريرة و زيد بن علي و الحسن و ابن أبي مليكة وغيرهم، وأشار القرطبي الى أن زيدا قد اتفق في تفسيره لهذه الآية مع قول المفسرين الآخرين.

والقول الثاني: ما رواه أبو سعيد الخدري مرفوعا أنه دخان يهيج بالناس يوم القيامة يأخذ المؤمن منه كالزكمة وينفخ الكافر حتى يخرج من كل مسمع منه ذكره الماوردي وفي صحيح مسلم عن أبي الطفيل [عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: أطلع النبيﷺ ونحن نتذاكر فقال: ما تذكرون؟. قالوا: نذكر الساعة قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم] في رواية عن حذيفة: [إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال ودابة الأرض ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس] وخرجه الثعلبي أيضا عن حذيفة قال: [قال رسول اللهﷺ: أول الآيات خروجا الدجال ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم إذا قالوا وتصبح معهم إذا أصبحوا وتمسي معهم إذا أمسوا قلت يا نبي الله وما الدخان؟. قال هذه الآية: {فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين} يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه

منه شبه الزكام وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من فمه ومنخره وعينيه وأذنيه ودبره].

أما القول الثالث: أن الدخان هو ما أصاب قريشا من الجوع بدعاء النبي ﷺ حتى كان الرجل يرى بين السماء والأرض دخانا قاله ابن مسعود قال: وقد كشفه الله عنهم ولو كان يوم القيامة لم يكشفه عنهم[١٧].

٢. وجاء في تفسيره لقوله تعالى ﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾ [سورة الصف: ١٤] فقد فسرت هذه الآية على أنهم غالبين قال ابن عباس: أيد الله الذين آمنوا في زمن عيسى بإظهار محمد على دين الكفار وقال مجاهد: أيدوا في زمانهم على من كفر بعيسى وقيل أيدنا الآن المسلمين على الفرقتين الضالتين من قال كان الله فارتفع ومن قال كان ابن الله فرفعه الله إليه لأن عيسى ابن مريم لم يقاتل أحدا ولم يكن في دين أصحابه بعده قتال.

بينما قال زيد بن على و قتادة: {فأصبحوا ظاهرين} غالبين بالحجة والرهان لأنهم قالوا فيما روي: ألستم تعلمون أن عيسى كان ينام والله لا ينام وأن عيسى كان يأكل والله تعالى لا يأكل![١٨].

وفي ما تقدم تبين لنا ان زيد بن علي عليه السلام قد كانت له أراء في تفسير بعض الآيات يختلف فيها مع جمهور المفسرين وهذا دليل على تأثير مدرسة أهل البيت عليهم السلام عليه، وهي المدرسة الأقرب الى فهم النصوص القرآنية واستنباط أحكامها بما يتفق مع مراد التنزيل.

المطلب الثاني:

قراءاته القرآنية:

للقراءات القرآنية أهمية كبيرة لأنها تمثل من جهة ضبط لصيغ الكلمات المفردة

(١٧) ينظر: تفسير القرطبي: ١٦/ ١١٣.

(١٨) تفسير القرطبي: ١٨/ ٧٩.

التي وردت في النصوص القرآنية في زمن النّبيﷺ ومن جهة أخرى تحافظ على المعاني النحوية والصرفية والدلالية في اللغة العربية، وطالما ردّد المشتغلون في القراءات أنّ الرسول قال ((أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف))[١٩] وعلى الرغم من أنّ هذا الحديث متواترا إلا أنه يعدّ من الأحاديث المشكلة، إذ لم يأت في معنى الأحرف السبعة نصّ ولا أثر [٢٠]، فضلا عن الحرف في اللغة من الألفاظ المشتركة التي لها معان عدة منها: أنّ الحرف يصدق على حروف الهجاء، ويصدق على القراءة واللغة، وعلى الكلمة والمعنى، وعلى الجهة [٢١]، ولذا تعددت آراء المفسرين في هذا الحديث، وليس من شأننا أن نفصل القول في آرائهم هنا، ولكن أردنا أن نلفت نظر المتلقي الكريم الى ذلك.

ومعلوم أنّ أثر القراءات يظهر في تأويل الآيات، لذا فإنّ القارئ في الغالب يختار القراءة التي تفصح عن المعنى الذي يبغيه أو الأقرب إليه، لأنّ ((القراءات القرآنية تعدّ ميدانا رحبا لدراسة العربية بمختلف علومها فضلا عن كونها حقلا خصيبا ينطوي على تاريخ العربية وأصول منابعها وطريقة نقل القراءات القرآنية القائمة على الأخذ بالمشافهة والرد، والنقل بمنتهى الأمانة والضبط الشواهد لتعرف ما كانت عليه الظواهر العربية النحوية والصرفية والدلالية والصوتية، وصارت المصدر الأوفى في دراسة اللهجات العربية القديمة ومعرفة طبيعة نطقها وميولها الصوتية والصرفية والنحوية))[٢٢]، وعلى هذا فإن القراءة سماع موثق وفيها سعة وتكثير للمعنى، ومن خلال دراسة بعض الألفاظ التي قرأ بها(زيدعليه السلام) نحاول أن نتلمس آثار تلك القراءات على تأويل الآيات القرآنية التي يفترض أن يصاحبها تغيير في المعنى.

(١٩) صحيح البخاري: ٣/ ٢٦٢.
(٢٠) ينظر: الإتقان: ١/ ١٣١.
(٢١) ينظر: البرهان للزركشي: ١/ ٢١٢.
(٢٢) نماذج من أثر القراءات في الدلالة: ١.

فزيد عليه السلام اهتم بالقراءات لأنه فطن -على ما يبدو -بأنها تأتي بمعان جديدة فيوجهها توجيها لغويا يتناسب مع المعنى المراد الذي له الأثر الكبير في إثراء الآيات القرآنية بمعان جديدة، يفيد منها المتخصص بشكل عام والمتلقي بشكل خاص ثم تحصنها معا من الخروج عن جادة الصواب، ومن تلك القراءات التي تفرد بها وذكرها القرطبي في تفسيره هي:

١. قرأ الجمهور قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٣٠] إلا زيداً قرأها (خليقة) بالقاف والمعنى بالخليفة هنا، في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل -آدم عليه السلام وهو خليفة الله في إمضاء أحكامه وأوامره لأنه أول رسول إلى الأرض. وأورد القرطبي بعض الآراء منها رأي الطبري فعنده جاعل بمعنى خالق ويقضي بذلك تعديها إلى مفعول واحد وخليفة يكون بمعنى فاعل أي يخلف من كان قبله من الملائكة في الأرض أو من كان قبله من غير الملائكة على ما روي ويجوز أن يكون خليفة بمعنى مفعول أي مخلف كما يقال ذبيحة بمعنى مفعولة والخلف (بالتحريك) من الصالحين وبتسكينها من الطالحين وهذا هو المعروف[٢٣].

٢. وفي قوله تعالى ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [سورة الدخان: ٤] قرأ زيد بن علي رضي الله عنه (نفرق) بالنون {كل أمر حكيم} وعلى هذه القراءة يكون المعنى (كل شأن ذي حكمة) أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة، وقرئ (نفرق) بالتشديد و (يفرق) كل على بنائه للفاعل ونصب (كل) والفارق الله عز و جل. كما ذكر القرطبي في معرض حديثه عن هذه الآية المباركة رأي عكرمة: الذي يقول في هذه الليلة هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وينسخ الأحياء من الأموات ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد وروى عثمان بن المغيرة

(٢٣) ينظر: تفسير القرطبي ١/ ٣٠٢.

قال: [قال النبي ﷺ: تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى أن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى] و [عن النبي ﷺ قال: إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلتها وصوموا نهارها فإن الله ينزل لغروب الشمس إلى سماء الدنيا يقول ألا مستغفر فأغفر له ألا مبتلى فأعافيه ألا مسترزق فأرزقه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر] ومن العلماء من يرى أنها ليلة القدر(٢٤).

٣. وفي قوله تعالى ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [سورة الدخان: ٥] ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة الدخان: ٦] قرأ زيد بن علي (أمر من عندنا) وخرج المفسرون هذه القراءة على أنها منصوبة على الاختصاص.

وكذلك {رحمة من ربك} وهما عند الأخفش حالان تقديرهما أنزلناه آمرين به وراحمين، اما المبرد فعنده (أمرا) في موضع المصدر والتقدير: أنزلناه إنزالا، اما الفراء و الزجاج: فـ(أمرا) نصب بـ (يفرق) مثل قولك (يفرق فرقا) فأمر بمعنى فرق فهو مصدر مثل قولك: يضرب ضربا وقيل: (يفرق) يدل على يؤمر فهو مصدر عمل فيه ما قبله (إنا كنا مرسلين رحمة من ربك) قال الفراء: (رحمة) مفعول ب (مرسلين) والرحمة النبي صلى عليه وآله و سلم، وقال الزجاج: (رحمة) مفعول من أجله أي أرسلناه للرحمة وقيل: هي بدل من قوله (أمرا) وقيل: هي مصدر، أما الزمخشري فعنده (أمرا) نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بأن قال: أعني بهذا الأمر أمرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا(٢٥).

٤. وفي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٣] قرأ زيد بن علي فطبع الله على قلوبهم هذا إعلام من الله تعالى بأن المنافق كافر أي أقروا باللسان ثم كفروا بالقلب وقيل: نزلت الآية في قوم آمنوا ثم

(٢٤) ينظر: م. ن ١٦١/ ١١٠.

(٢٥) ينظر تفسير القرطبي: ١٦/ ١١٢.

ارتدوا {فطبع على قلوبهم} أي ختم عليها بالكفر {فهم لا يفقهون} الإيمان ولا الخير[٢٦].

٥. وفي قوله تعالى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [سورة النجم: ٩] قرأ زيد بن علي (قاد) أي بمعنى قدر قوس، أي كان محمد من ربه أو من جبريل {قاب قوسين} أي قدر قوسين عربيتين قاله ابن عباس و عطاء و الفراء والزمخشري فإن قلت كيف تقدير قوله {فكان قاب قوسين} قلت تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات. وقوله ((فكان قاب قوسين أو أدنى)) فمن جعل الضمير عائدا إلى الله تعالى لا إلى جبريل كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وإيضاح المعرفة والإشراف على الحقيقة من محمدﷺ، وعبارة عن إجابة الرغبة وقضاء المطالب وإظهار التحفي وإنافة المنزلة والقرب من الله.

وقيل أو بمعنى قاب قوسين وأدنى وقيل بمعنى بل أدنى وقال سعيد بن المسيّب ألقاب صدر القوس العربية حيث يشد عليه السير الذي يتنكبه صاحبه ولكل قوس قاب واحد فأخبر أن جبريل قرب من محمدﷺ كقرب قاب قوسين وقال سعيد بن جبير و عطاء و أبو إسحاق الهمداني و أبو وائل شقيق بن سلمة {فكان قاب قوسين} أي قدر ذراعين والقوس الذراع يقاس بها كل شيء وهي لغة بعض الحجازيين وقيل هي لغة أزد شنوءة أيضا وقال الكسائي قوله {فكان قاب قوسين أو أدنى} أراد قوسا واحدا[٢٧].

٦. وفي قوله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الصف: ١١] قرأ زيد بن علي (تؤمنوا وتجاهدوا) على إضمار لام الأمر كقوله: (محمد تفد نفسك كل نفس.. . إذا ما خفت من شيء تبالا).

أراد لتفد وأرغم بعضهم فقال: يغفر لكم والأحسن ترك الإدغام لأن الراء حرف متكرر قوي فلا يحسن إدغامه في اللام لأن الأقوى لا يدغم في الأضعف.

(٢٦) ينظر: م. ن: ١٨/ ١١٢.

(٢٧) ينظر: تفسير القرطبي: ١٧/ ٧٩.

وعلق القرطبي على هذه الآية من خلال الآراء التي جمعها من اللغويين والمفسرين ولا سيما في ما يتعلق من تقديم الأموال على الأنفس إذ ذكرت الأموال أولا لأنها التي يبدأ بها من الإنفاق {ذلكم} أي هذا الفعل {خير لكم} من أموالكم وأنفسكم {إن كنتم تعلمون} وتؤمنون عند المبرد و الزجاج في معنى آمنوا، ولذلك جاء {يغفر لكم} مجزوما على أنه جواب الأمر وفي قراءة عبد الله آمنوا بالله وقال الفراء {يغفر لكم} جواب الاستفهام وهذا إنما يصح على الحمل على المعنى وذلك أن يكون تؤمنون بالله وتجاهدون عطف بيان على قوله: {هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم} كأن التجارة لم يدر ما هي فبينت بالإيمان والجهاد فهي هما في المعنى فكأنه قال: هل تؤمنون بالله وتجاهدون يغفر لكم، أما الزمخشري فقد وجه قول الفراء أن متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد كأنه قيل: هل تتجرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم قال المهدوي فإن لم تقدر هذا التقدير لم تصبح المسألة لأن التقدير يصير إن دللتم يغفر لكم والغفران إنما نعت بالقول والإيمان لا بالدلالة قال الزجاج: ليس إذا دلهم على ما ينفعهم يغفر لهم إنما يغفر لهم إذا آمنوا وجاهدوا[٢٨].

ومن هنا يتضح لنا أثر قراءات زيد بن علي في توضيح المعنى المراد لألفاظ القرآن الكريم التي وقف عندها، لاسيما وهو مأمون عليه من اللبس بوصف عالما من علماء أهل البيت عليهم السلام الذين زقوه العلم زقّا، وما سقناه من أمثلة لهو دليل على ذلك.

الخاتمة:

بعد هذه المصاحبة لتفسير القرطبي تبين لنا الآتي:

- ظهر لنا أنّ زيد بن علي عليه السلام كان بارعا في التفسير ومتمكنا في القراءات وكان يعتمد عليهما في بيان معاني الألفاظ القرآنية.
- كان متمكنا من فهم لغات العرب وذلك من خلال إيراده للمعنى الحقيقي والمجازي للألفاظ القرآنية في ضوء ما نطقت به العرب، لأنّ القرآن نزل بلسان عربي فصيح

(٢٨) ينظر: تفسير القرطبي: ١٨/ ٧٨.

مليح مبين لا عوج فيه وهذا واضح جلي في المعاني المنبثقة من جذر واحد.

- كان ملما بروافد التفسير والقراءات، لذا لم تكن تفسيراته وقراءاته شاذة عما تعارف عليه العرب، وإلا لفسد المعنى المراد لآيات القرآن الكريم.
- لم يشر القرطبي فيما ذكر من تفسيرات وقراءات لزيد عليه السلام من أنّ هذه التفسيرات والقراءات متواترة عن أهل البيت عليهم السلام، وإنما نسبها لزيد ذاكرا سند بعضها عن الصحابة والتابعين.
- وظهرت قراءاته أنها تنطوي على مادة دلالية غزيرة تساعد على تأويل النص القرآني وترفده بمعان جديدة ودلالات تنجم عن إعراب الكلمة أو بنيتها أو حروفها.
- وقد ظهر من خلال التفسير والقراءة اللذان رصدهما البحث آثارا واضحة في دلالة الألفاظ وفي تأويل الآيات القرآنية، وقد ألمحنا الى هذه الآثار في مواضعها من البحث.
- ومن خلال إطلاعنا أنّ أصحاب التفاسير في الأعم الأغلب لا يستغنون عن آراء زيد التفسيرية ولا عن قراءاته، وهذا دليل على مكانته العلمية المتميزة التي لا يمكن لطالب العلم أن يتجاهلها.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨م.
- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي (ت ٢٨٤هـ) مؤسسة فرهنك، أهل البيت عليهم السلام قم، دار صادر، بيروت.
- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي/ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل -بيروت، ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨م.
- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ) تحقيق، عبد السلام هارون، مكتبة

بولاق، ط١، ١٩٤٨م.

- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبد الله محمد بن احمد القرطبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م.
- رجال الكشّي، تحقيق، محمد تقي فاضل الميبدي و السيد أبو الفضل موسويان، نشر مؤسسة الطباعة والنشر لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط١، طهران.
- الروض النضير، الصنعاني شرف الدين بن أحمد، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١. ١٩٤٨م.
- زيد الشهيد، عبد الرزاق المقرم الموسوي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٣م.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق، حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.
- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني، تحقيق/ لجنة إحياء التراث، منشورات مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٣.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، الناشر، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦م.
- لسان العرب، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، مراجعة، د. يوسف البقاعي وآخرون، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥ م، بيروت -لبنان.
- نماذج من أثر القراءات القرآنية في الدلالة، الأستاذ خليل السامرائي، بحث في مجلة كلية الإمام الأعظم، العدد الأول، ٢٠٠٥م.

أرجوزة في سور القرآن العظيم
نظم علي المكتبي المعرباني

(كان حياً سنة ١٠٨٧هـ)

تحقيق وشرح
م. مصطفى طارق عبد الأمير الشبلي
العتبة العباسية المقدسة - كربلاء

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل القرآن منبعا للعلم وأصلاً له، ونوراً لا يطفأ مصباحه، ومنهجا لا يضلّ سالكه، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد:

لا يخفى ما للقران الكريم ونصه المقدس من المقام عند المسلمين، والذي لا يدانيه ولا يجاريه نص آخر، لكونه كلام الله، ونقل الوحي، وتبليغ الرسول الأكرم محمدﷺ، وقد كُتب برعايته وإشرافه بأيدي أصحابٍ خلص.

ويعدّ القران الكريم إرثاً خلّفه الرسول الأكرمﷺ إلى أمّته بقوله: "إني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض"(١).

فهو حجة قاطعة على كلّ من آمن بالله وسوله، ومن هنا نجد الذين آمنوا بالله وسوله من العلماء والأدباء والكتاب وغيرهم، راحوا يتسابقون في الكتابة عن هذا

(١) الخلاف، للشيخ الطوسي: ١/ ٢٧.

السفر العظيم بمختلف الأنواع نحو التفسير، والتأويل، والتجويد، وأسباب النزول، والقراءات، والناسخ والمنسوخ، وغيرها من العلوم.

ولّما كان الشعر وسيلة من وسائل التوثيق، نجد الشعراء قد خاضوا في هذا المضمار، ونظموا بمختلف الموضوعات القرءانية، ومن ذلك (منظومة في تجويد فاتحة الكتاب) لمحمد بن محمود السمرقندي (ت٧٨٠هـ)، (منظومة في الشواذ من القراءات)، (أرجوزة في معرفة الوقوف)، لمحمد بن عبد الحميد الحكيم، (المقدمة الجزرية)، وهي عبارة عن أرجوزة في علم التجويد، لمحمد بن محمد المعروف بابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، وغيرها الكثير.

ومن هنا نجد العالم الفاضل علي المكاتبي المعرباني، نحا نحو هؤلاء الجهابذة من العلماء ونظم أرجوزة سطّر فيها أسماء السور القرآنية، وهي تقع في ثلاث وسبعين بيتاً من البحر البسيط.

وقد عثرت على هذه القصيدة في مكتبة (جامعة الملك سعود)، في ضمن مجموع برقم (٥٩٢٩/ ٣)، وأحببت أن أخرجها لروّاد هذا الفن الأصيل، وعشاق القران الكريم، والرسول الأمين محمدﷺ، وسعياً لتحقيق الهدف الذي أنشده المؤلف في نظمه، وإحياءاً لهذا النوع من التراث الأدبيّ.

وقد اعتمدت نسخة كتبت على نسخة المؤلف بخط (عبد الرحمن بن محمد)، سنة (١٠٩٠هـ)، وقمت بتشكيل الأبيات، وضبط نصّها، وغير ذلك ممّا يقتضيه التحقيق.

والحمد لله رب العالمين.

الأرجوزة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا وأستاذنا وملاذنا الشيخ علي المكتبي المعرباني[٢]: لّما رأيت النظم مقصوداً لمصلحة من المصالح فما رأيت أهم من أن أصنف أرجوزة أذكر بها سور القرآن العظيم

(٢) هذا الكلام للناسخ، وهو عبد الرحمن بن محمد.

منظومة بهذه الأرجوزة فأقول من بعد بسم الله الرحمن الرحيم:

-من البسيط -

الـحَـمْـدُ لله حَـمْـداً لا انْـتـهـاءَ لَـهُ(١) خـالٍ عَـن الـظـنِّ والـتّـشْـكِـيـكِ والـرِّيَـبِ

ثُـمَّ الـصّـلاةُ مَـعَ الـتّـسْـلِـيـمِ يَـتْـبَـعُـهَـا عَـلى نَـبِـيٍّ أَتَـى مِـنْ أَشْرَفِ الـعَـرَبِ

وَبَـعْـدُ فـالـنّـظـمُ مـقـصـودٌ لِـمَـصْـلَـحـةٍ كَـمْ حَـاجَـةٍ قُـضِـيَـتْ فِـيْـهِ بِـلا نَـسَـبِ

هِـيَ الـتّـوَسّـلُ بـالـمِـفْـتَـاحِ مِـنْ سِـوَرِ فَـمَـنْ تَـلاهَـا لِأَمْـرٍ فَـازَ بـالـطّـلَـبِ

خُـذْ عـدَّهـا مـائـةً مِـنْ بَـعْـدِ أَرْبَـعَـةٍ وَزِدْ لَـهَـا عَـشْـرَةً نُـجّـيْـتَ مِـنْ عَـطَـبِ

أَسْـتَـفْـتِـحُ اللهَ فِيْ نَـظْـمِـيْ «بِـفَـاتِـحَـةٍ» تَـيَـمُّـنَـاً بِـالْـمَـثَـانِيْ(٢) أَوّلِ الـسَّـبَـبِ

عَـنْ نَـعْـتِ أَكْـرَمِ مَـبْـعُـوْثٍ لَـقَـدْ «بَـقَـرَتْ»(٣) فِيْ «آلِ عِـمْـرَانَ» مَـتْـلُـوٌّ وَفِي الـكُـتُـبِ

قَـدْ أَنْـكَـرُوْهُ عَـلَى عِـلْـمٍ وَمَـعْـرِفَـةٍ رِجَـالُـهُـمْ «والـنِّـسَـا»(٤) هَـذَا مِـنَ الـعَـجَـبِ

كَمَا بِعِيْسَىْ جَرَى فِيْ كُفْرِ «مَائِدَةٍ» الْـ «ـأَنْـعَـامِ» كَـمْ مِـنْ غَـبِـيٍّ بَـاءَ بِـالْـغَـضَـبِ

«أَعْـرَافُ» «أَنْـفَـالُـهُـمْ» كَـمْ مَـغْـنَـمٍ حُـرِمُـوا «لِـتَـوْبَـةٍ» قَـدْ أَبُـوْهَـا مِـنْ ذَوِيْ الْـحَـسَـبِ

«لِـيُـوْنُـسَ» ثُـمَّ «هُـوْدٍ» ثُـمَّ «يُـوْسُـفِـهِـمْ» قَـدْ سَـفِـهُـوا قَـوْلَـهُـمْ بِـالـزُّوْرِ وَالْـكَـذِبِ

(١) (الـحَمْدُ لله حَـمْداً لا انْتهاءَ لَهُ)، هكذا ورد في الأصل، ولا يستقيم الوزن إلّا بحذف كلمة (لله) المتكررة.

(٢) قال المفسّرون : المثاني يعني سورة الفاتحة، واختلف في تسميتها بالمثاني فقيل لأنها تثنى صلاة مرّتين، وقيل لأنها يثنى بها على الله تعالى، وقيل لأنها استثنيت لهذه الأمة لم تنزل على من قبلها. (ينظر: منتهى المطلب:٥/ ٥١، تحفة الأحوذي: ٨/ ٤٣٩) .

(٣) أي سورة البقرة.

(٤) أي سورة النساء، وقد حذفت الهمزة لكي يستقيم الوزن.

يَا لَيْتَ «بِالْرَّعْدِ» ثُمَّ النّارِ قَدْ حُرِقُوا ... مِنْ بَعْدِ أُلْقِيَ «إِبْرَاهِيْمُ» فِيْ اللَهَبِ

فِيْ «الحِجْرِ» قَدْ أَقْسَمَ الْبَارِيْ بِعِزَّتِهِ ... لَنَسْئَلَنَّهُمْ وَيْلٌ لِكُلِّ غَبِيْ(٥)

«كَالنَّحْلِ» فِيْ الْحَشْرِ أَوْ كَالذَّرِّ تنظرهم ... «سُبْحَانَ»(٦) مُخْرِجِ أَثْمارٍ مِنَ الْحَطَبِ

«والحَمْدُ لله»(٧) كَمْ أَسْدَى لَنا نِعَماً ... كَمَرْيَم» حِيْنَ نَجّاهَا مِنَ الْعَطَبِ

وَخَصَّ خَيْرَ الوَرَى «طه» الذي شَهِدَتْ ... لَهُ غَزَالٌ فَقَالَتْ أَنْتَ خَيْرُ نَبِيْ

كَذَلِكَ «الأَنْبِيا»(٨) فِيْ الذّكرِ قَدْ شَهِدوا ... وَرَبُنَا شَاهِدٌ فِيْ ذَلِكَ السّبَبِ

كَمْ «حَجَّ» خَيْرُ الوَرَى خَصْمَاً بِمُعْجِزَةٍ ... «والمُؤْمِنُون» تَلَقُّوها بِلا تَعَبِ

لِذاكَ قَدْ لاحَ «نُورٌ» فِيْ حَيَاهم ... فَلَيْسَ يُطْفَى مَدَى الأَزْمَانِ والحُقَبِ

«تَبَارَكَ»(٩) اللهُ أَصْفَاهُمْ بِمَنْزِلَةٍ ... فَاقوا بِها كُلّ شِبْرٍ مِنْ أُولِيْ الرُّتَبِ

يَا لَيْتَ شِعْرِيْ هَلْ «الشُّعَرا»(١٠) إذا امْتَدَحوا ... لِغَيْرِهِمْ سَلِموا فِيْهِ مِنَ الْكَذِبِ

واعَجَبْ «لِنَمْلٍ» وَمَا «قِصّتْهُ»(١١) مِنْ خَبَرٍ ... «وَعَنْكَبُوتٍ» وَمَا نَالَتْهُ مِنْ أَرَبِ

---

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الحجر: ٩٢].

(٦) المقصود: سورة الإسراء، كونها تفتتح بقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ...﴾.

(٧) المقصود: سورة الكهف، كونها تفتتح بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾

(٨) أي سورة الأنبياء، وقد حذفت الهمزة لكي يستقيم الوزن.

(٩) المقصود: سورة الفرقان، كونها تفتتح بقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾.

(١٠) أي سورة الشعراء، وقد حذفت الهمزة لكي يستقيم الوزن.

(١١) المقصود: سورة القصص.

فِيْ «الـــرّوم» قَـدْ تَـاه «لُـقْـمَانٌ» بِحِكْمَتِهِ ... لِـحِكْـمَـةٍ قُـــدِّرَتْ مِـنْ فَـارِجِ الْـكُـرَبِ

«وَسَـــجْـدَةِ» المصطفى في ضِـمْـنِـهَـا حِـلـمٌ ... لِـرَدْعِ «أَحْـــزَابِ» أَهْـلِ الْـكُـفْـرِ بالشّهُبِ

فَـكَـمْ «سَـبـا» «فَـاطِـرُ» الأَكْـوان مِـنْ بَطَلٍ ... بِـرُعْـبِ «يَـاسِـينَ» فِيْ بَـدْرٍ لَـدَى القلبِ

«وصافات» الملا قَدْ «صَـادَهُـمْ»(١٢) «زُمَـرًا» ... «فَـصَـارَ لِـلْـمُـؤْمِنِ التَثْبِيْتُ بـالحُجُبِ»(١٣)

قَدْ «فَصِّلَتْ»«شُوْرَةُ الـمُخْتَار»(١٤) «زُخْرُفَهُمْ» ... حَـتّـى عَـلاهُـمْ «دُخَـــانُ» الـــذّلِ بِـالـلَـهَـبِ

وَصَـــارَ كُـــلُّ عُـتُـلّ «جَـاثِـيَـاً»(١٥) مرحا ... «أَحْـقَـافُ» أَجْـسَـادِهُـمْ لِـلْـوَحْـشِ وَالـعُـقَـبِ

وَأَيَّـــــدَ الله مَـــنْ سَـــمّاهُ خَـالِـقُـهُ ... «مُـحَـمَّـدَاً» فَـأَتَـاهُ «الْـفَـتْـحُ» ذُو الْـعَـجَـبِ

فَـاقْـصِـدْ «لِـحُـجـرَاتِـهِ» وَادْخُـلْ لِـحَـضْـرَتِـه ... «بِـقَـافِ»(١٦) صِـدْقٍ مَـعَ الإِطْـرَاقِ والأَدَبِ

«وَالـذَّارِيـاتُ» على «طُـوْرِ» الـخُـدُوْدِ تُـرَى ... لَـعَـلَّ «نـجـم» الـرَّضِي يَـبْـدُو بِـلا نَـصَـبِ

وَقُـــلْ بِـآيِـتِـكَ الـــمُـنْـشَـقّ مِـنْ «قَـمَـرٍ» ... كُـنْ لِيْ شَـفِـيْـعَـاً إلى «الـرّحْـمَـنِ» يَـا عَـرَبِيْ

فِيْ يَـوْمِ «وَاقِـعَـةِ» الأَهْـوالِ حَـيْـثُ يُـرَى ... مِـنْ «الـحَـدِيْـدِ» شَـدِيْـدِ الخَـوْفِ وَالْـرُعُـبِ

«وَجَـــــادَلَ» خـلا كَـــانَ رَائِـسَـهُـمْ ... فِيْ «حَشْرِهِمْ» «بِامتِحَانٍ»(١٧) لَيْسَ بِاللعبِ

وكُـلُّ «صَـــفٍ» مِـن الأَمْـــلاكِ تَحْـسُـبُـهُـمْ ... «تَجَـمّـعُـوا»(١٨) لِـقَـضَـاء الـفَـرْضِ بالطَلَبِ

(١٢) المقصود: سورة ص.
(١٣) المقصود في هذا الشطر سورة غافر.
(١٤) المقصود: سورة الشورى.
(١٥) المقصود: سورة الجاثية.
(١٦) المقصود: سورة ق.
(١٧) المقصود: سورة الممتحنة.
(١٨) المقصود: سورة الجمعة.

وامْتَازَ مَنْ «نَافَقُوا»(١٩) يَوْمَ «التَّغَابُن» بالـ ـخِزْي العَظِيْمِ مِنَ الدّيّانِ والغَضَبِ

«وَطَلَّقَ»(٢٠) المَرْءُ «تَحرِيماً»(٢١) لِلَذّتِه طَلاقَ بِتٍّ وَصَارَ التّبرُ كَالحَطَبِ

«تَبَارَكَ»(٢٢) اللهُ إجلالاً لِهَيْبَتِه سُبْحَانَهُ مِنْ إلهٍ فَارِجِ الْكُرَبِ

فَالْزَمْ «نونٍ»(٢٣) وَرَدِّدْ فِيْ تِلاوَتِهَا تَنْجُوْا إذا «حَقّت»(٢٤) الأَهْوَال مِنْ تَعَبِ

وَخَالِفَ النّفسَ وَاحْذَرْ مِنْ مَكَائِدَهَا تَرْقَى «المَعَارِجَ» فِيْ عَالٍ مِنَ الرُّتَبِ

وَاذْكُرْ «لِنُوْحٍ» وَكُنْ بِالْصَّبْرِ مُتَّزِراً وَجَاهِدَ النَّفسَ وَانْقِذْهَا مِنَ الْعَطَبِ

وَاسْئَلْ شَفَاعَةَ مَنْ عَمّتْ رِسَالَتُهُ «لِلجّنِ» وَالأِنْسِ وَالأَمْلاكِ خَيْرِ نَبِيْ

المُجْتَبَى مَنْ لِدِيْنِ الْحَقِّ أَرْشَدَنَا فَنَادِ «مُزَّمّلاً» مِنْ أَشْرَفِ الْعَرَبِ

مَنْ جَازَ «مُدَّثِرٌ» بِالمُعْجِزَاتِ كَذَا يَوْمَ «الْقِيامَةِ» يُنْجِي الخَلقَ مِنْ نَصَبِ

سِوَى المُسَمّى «بإنْسَانِ»(٢٥) الوجُوْدِ فَجُدْ «بِمُرْسَلاتٍ» دُمُوْعِ الْعَيْنِ وَانْتَحِبِ

إذْ «عَمَّ»(٢٦) كُلُّ الوَرَى كَرْبٌ وَقَدْ ذَهُلَتْ «بِالنَازِعَاتِ» عُقُوْلِ الخَلْقِ عَنْ طَرَبِ

---

(١٩) المقصود: سورة المنافقون.
(٢٠) المقصود: سورة الطلاق.
(٢١) المقصود: سورة التحريم.
(٢٢) المقصود: سورة الملك.
(٢٣) المقصود: سورة القلم.
(٢٤) المقصود: سورة الحاقة.
(٢٥) المقصود: سورة الإنسان.
(٢٦) المقصود: سورة النبأ.

وَمَـالِـكٌ «عَـابِـسٌ»(٢٧) وَالـنَّـارُ مُـقْـبِـلَـةٌ ... وَالـشَّـمْـسُ قَـدْ «كُـوِّرَتْ» وَالـنَّـاسُ فِيْ كُـرَبِ

حَـتّـى الـسّـمَاوَاتُ ذَابَـتْ خل «وانفطرت» ... وَبَـاء مِـنْ «طَـفِّـفِ»(٢٨) الـمِكْيَالِ بِالْغَضَبِ

وَبُـدِّلَـتْ أَرْضُـنَـا يَـا صَـاحُ «وَانْـشَـقّـتْ» ... ذَاتُ «الـبُرُوْجِ» فَـكَـمْ جَـاْثٍ عَـلى الرُّكَـبِ

وَصَـارَتْ الأَنْـبِـيَـا تَـدْعُـوا لِأَنْـفُـسِـهَـا ... مِـنْ شَرِّ «طَـارِقِ» أمـرٍ زَادَ بِـالْـعَـطَـبِ

هَـنَـالِـكَ مَـسْـجِـدٌ عَـمَّـتْ مَـكَـارِمُـهُ ... كُـلَّ الخَـلائِـقِ مِـنْ نَـاءٍ وَمُـقْـتَـرِبِ

مُـنَـاجِـيَـاً رَبّـهُ «الأَعْـلى» «لِـغَـاشِـيَـةٍ» ... قَـدْ أَذْهَـلَـتْ سَـائِـرَ الأَعْـجَـامِ وَالْـعَـرَبِ

فَـلُـذْ بِـهِ مُـسْـتَـضِـيـاً «فَـجْـرَ» سُـنّـتِـهِ ... وَاقْـصُـدْهُ فِيْ «بَـلَـدٍ» «كَـالشّـمْـسِ» فِي الرُّتَـبِ

«وَلَـيْـلُـهَـا» «كَـالـضُّـحَـى» مِـن نُـوْرِ طَـلْـعَـتِـهِ ... مَـنْ أَمَّـهَـا «بِـانْـشَـرَاحِ» الـصّـدْرِ لَـمْ يَـخِـبِ

كَـأنّـهـا جَـنّـةُ الـفـردَوْسِ قَـدْ جَمَـعَـتْ ... لِـكُـلِّ مُـسْـتَـحْـسِـنٍ «كَـالـتّـيْـنِ» وَالـعَـنَـبِ

قَـدْ خَـصَّـهَـا خَـالِـقُ الإنْـسَـان مِـنْ «عَـلَـقٍ» ... بِـأَكْـرَمِ الـرُّسُـلِ تَـعْـظِـيْـمـاً وَكُـلِّ نَـبِـيْ

كَـلَـيْـلَـةِ «الْـقَـدْرِ» مَـنْ وَافى لَهـا سَـعِـدَتْ ... آمـالُـهُ وَحـظـى فِيْ أَنْـجَـحِ الْـطَـلَـبِ

فَـقُـمْ لَهـا وَاغْـتَـنِـمْ لِـلْـخَـيْـرِ مُـجْـتَـهِـدَاً ... إنْ رُمْـتَ تُـعْـطِى لِـدَارِ الـعِـزِّ فاسْتَجِبِ

قَدْ «بُيِّنَتْ»(٢٩) سُـوْرَةُ «الْـزِلْـزَالِ» وَاتّضَحَتْ ... فِـيْـهَـا الأُمُـوْرُ كَـمَا قَـدْ جَـاءَ فِي الكُتُبِ

فَـانْـهَـضْ عَـلَى «عَـادِيَـاتِ» الْـبِرِّ مُـرْتَـجِـيَـاً ... مِـنْ قَـبْـلِ «قَـارِعَـةِ» الأَهْـوَالِ وَالْـكَـرَبِ

(٢٧) المقصود: سورة عبس.
(٢٨) المقصود: سورة المطفّفين.
(٢٩) المقصود: سورة البيّنة.

وَاحْـــذَرْ تَـكُـنْ كَـالـذيـنَ الـــرّبُ أَبْـعَـدَهُـمْ ... وقل (لهم)(٣٠) الهاكم «التكثير»(٣١) بالذهب

وَاغْـنَـمْ «لِـعَـصْرِ» التُّقَى وَاحْـذَرْ مُنَاقَشَةً ... وَخَفْ مِنَ «الْوَيْلِ»(٣٢) وَارْقَى أَكْمَلَ الرُّتَبِ

«أَلَـمْ تَـرَ»(٣٣) فِي «قُرَيْشٍ» كَيْفَ حَلَّ بِهِمْ ... فَـلا تَـكُـنْ مَـانِـعَ «الْـمَـاعُـوْنِ» وَانْـتَـدِبِ

وَاشْرَبْ مِن« الْكَوْثَرِ» الْصَافِي الذي حرموا ... ذَا «الْـكَـافِـرُوْنَ» لِـرُؤْيَـتِـهِ مِـنَ الْـغَـضَـبِ

فِيْ يَـوْمِ قَـدْ «فَـتَـحَ»(٣٤) الـمَـنّانُ جَنَّتَهُ ... لِـلْـمُـؤْمِـنِـيْنَ فَـفَـازُوا مِـنـهُ بِـالْـطَـلَـبِ

وَاشْـتَـدَّ «أبـو لَـهَـبٍ»(٣٥) وقـد هَـلَـكَـتْ ... يَـدَاهُ وَاشْـتَـعَـلَـتْ بِـالـنّـارِ وَالْـحَـطَـبِ

«فَاخْلُصْ»(٣٦) لِمَنْ «فَلَقَ» الإصْبَاحَ مُعْتَزِلاً ... «لِـلـنّـاسِ» تَـحْـظَ مِـنَ الـرَّحْـمَـنِ بِـالْأَرَبِ

وَالحَـمْـدُ لله قَـدْ تَـمْـتْ مُـكَـمّـلَـةً ... مَـيْـمُـوْنَـةً بِـأَسَـامِـيْ أَشْرَفِ الْـكُـتُـبِ

يَـا رَبِّ وَاخْـصُـصْ لِـنَـاظِـمِـهَـا بِـمَـغْـفِـرَةٍ ... وَرَحْـمَـةٍ يَـا جَـمِـيْـلَ الْـعَـفْـوِ فَـاسْـتَـجِـبِ

الـمَـكْـتَـبِـيّ أَسِـيْـرِ الـذّنْـبِ فِيْ وَجَـلٍ ... لَـكِـنّ حُـسْـنَ الـرجـا يُـنْـجِـى مِـنَ الْـعَـطَـبِ

وَالـتّـابِـعِـيْنَ لِـشَـرْعِ الله قَـاطِـبَـةً ... فِيْ سَـائِـرِ الـدّهْـرِ مِـنْ عَـجْـمٍ وَمِـنْ عَـرَبِ

ثُـمّ الـصّـلاةُ عَـلى مَـنْ كُـنَّ رَاحَـتَـهُ ... أَطْـرَى مِـنَ الْـوَرْدِ بَـلْ أَسْخَى مِنَ السُحُبِ

وَالآلِ وَالْـصُـحْـبِ مَـنْ فَـازُوا بِـرُؤْيَـتِـهِ ... وَكَـانَ كُـلٌّ عَـلى الـكُـفّـارِ كَـالْـشُـهُـبِ

---

(٣٠) لهم: غير موجودة في الأصل، ووضعناه ليستقيم الوزن.

(٣١) المقصود: سورة التكاثر.

(٣٢) المقصود: سورة الهمزة، كونها تفتتح بقوله تعالى ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.

(٣٣) المقصود: سورة الفيل، كونها تفتتح بقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾.

(٣٤) المقصود: سورة النصر، كونها تفتتح بقوله تعالى ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾.

(٣٥) المقصود: سورة المسد، كونها تفتتح بقوله تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

(٣٦) المقصود: سورة الإخلاص.

كتبت هذه النسخة من خط مؤلفها شيخنا الشيخ علي المكتبي، قال وقد نظمها وأنهى كتابتها نهار الجمعة بعد الصلاة لخمسة ايام خلت من شهر محرم الحرام سنة (١٠٨٧هـ) وحررت هذه النسخة في مضي سبعة أيام من شهر شوال سنة (١٠٩٠هـ).

شرح الأرجوزة:

الأرجوزة من البحر البسيط، تقع في (٧٣) بيت شعري، ضمنها الشاعر كل السور القرآنية الـ (١١٤) سورة، وجاء تضمينه لها في (١٠٥) سورة بشكل صريح، و (٩) سور أشار لها بأوائلها.

وقد ركزت القصيدة في جزء كبير منها على نعت أكرم الخلق محمدﷺ، بأحسن الصفات، ومدحه بأجل الألفاظ وأحسنها.

وقسمنا القصيدة على مقاطع بحسب إنتقال الشاعر من مقطع إلى آخر، وتناولنا المعنى العام للمقطع، ثم السور التي أشار إليها الشاعر، وبيان معانيها ودلالاتها اللغوية، وعلاقة كل ذلك بمراد الشاعر.

وقد أشار الشاعر إلى نكتة مهمة قبل الدخول إلى القصيدة وهي قوله: «لمّا رأيت النظم مقصوداً لمصلحة من المصالح فما رأيت أهم من أن أصنف أرجوزة أذكر بها سور القرآن العظيم»، وهي إن الشعر لا بد ان يكتب لغرض، ينتفع من ورائه القرّاء، فقد ورد عن ابن عباس: «الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من اللغة... رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه»[٣]، ويمكنُ القول إنّه سجلّهم النفيس الذي حفِظَ تراثهم، وتاريخَهم، وآدابَهم، وأخلاقَهم، وأخبار أبطالهم، ووقائع بطولاتهم، وما تفرَّدت به قرائحُ حكَمائهم وفُضَلائهم من حِكَمٍ بليغة وأمثالٍ بديعة.

وكانت للشعر العربيّ مساهمة جبّارة في توثيق الآدابِ العربيةِ وعلومها من البلاغة، والنحو، ومن خلاله اشتهرت القبائل وأخبارها، وعُرفت مواقع المدن ومرابعها، فهو الذي حفظ لنا كلّ ذلك، كما قال يونس بن حبيب اللغوي: «لولا شعر الفرزدق لذهب

(٣) علوم القران: ٢٨١.

نصف أخبار الناس»[٤].

ومن هنا فشاعرنا المعرباني نحا منحى القدماء، وسعى جاهداً في توثيق أسماء السور القرآنية متسلسلة، كما وردة في القرآن الكريم، وفي ذلك حفاظا على التسلسل للسور، والرد على كل من يتهمنا بالتحريف.

المقطع الأول: تناول الشاعر في هذا المقطع من القصيدة وهو الخمسة أبيات الأولى، التحميد والتهليل لله سبحانه وتعالى، ومن ثم الصلاة والتسليم على النبي الأكرم محمدﷺ، ثم ذكر الغرض من النظم، ومن ثم ذكر عدد السور، وعدها (١١٤) سورة.

المقطع الثاني: سلّط الشاعر فيه الضوء على نعوت النبي محمدﷺ وإنكارها من قبل قومه، وهو من البيت (٦) إلى البيت (١٤)، فقد ضمن الشاعر في هذا الجزء من القصيدة سبع عشرة سورة، جاءت ست عشرة سورة منها بأسمائها بشكل صريح، وواحدة عبّر عنها بأولها وهي سورة (الإسراء) فقد إشار إليها بـ (سبحان).

وركزت هذه المقطوعة بشكل أساس على نبوة محمدﷺ، وصفاته التي أشار اليها القران في سورة البقرة، وسورة آل عمران، وإنكار القوم لها.

وعبر عن ذلك بقوله (بقرت).

وللفعل بقر معاني كثيرة، والمراد هنا هو: إظهار الشيء، وشَقَّه، وفَتَحَه وَتوسعه[٥]، والتبقر: التوسع في العلم والمال، ومن هنا لقب الإمام محمد بن علي السجادعليه السلام بالباقرعليه السلام، لأنه بقر العلم وعرف أَصله واستنبط فرعه وتَبَقَّر في العلم[٦].

ولقد ورد في القرآن الكريم جملة من النعوت الصريحة للرسول محمدﷺ، ومن النعوت التي صرحت بها سورة البقرة، وآل عمران هي: (البشير، والنذير، والشهيد، والرسول، و الأنفس).

(٤) الأغاني: ٢١/ ٣٩٨.
(٥) ينظر: تاج العروس: ٦/ ١٠٥.
(٦) ينظر: لسان العرب: ٤/ ٧٤.

وورد نعتا (البشير والذير) للرسول محمدﷺ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [سورة البقرة: ١١٩]، ونلحظ اقتران (البشير والنذير)، لقطع الحجج والأعذار التي يحاولون اللواذ بها(٧)، والكلمتان على وزن (فعيل)، وفي هذا الوزن دلالة على المبالغة؛ وفي هذا إيحاءٌ بصدور التبشير والإنذار أكثر من مرّة.

أما نعت (الشهيد) فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا .. ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]، فالشهيد على وزن (فعيل)، ويدلُّ على ثبوت المعنى والاستقرار في الذات، ويحصل هذا في من يثبت تحمّله للشهادة زمانين أو أكثر(٨)، وقد كشفت الآية عن دلالة مهمّة، وهي تجلّي كمال نورانيته وروحانيتهﷺ، زيادةً على ذلك تنزّهه عن تعلّقات النفس بالدنيا والتوجّه الخالص إلى الله المتعالي(٩).

اما نعت (الرسول) فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ... ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]، فجاء الخطاب الإلهي له بهذا النعت في الوظائف التي كُلِّف بتبليغها من أمرٍ ونهيٍ، وكذلك استعمل هذا النعت في خطاب الناس وأمرهم باتّباع صاحب هذا النعت وهو الرسولﷺ(١٠).

أما نعت (الأنفس) ففي قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾[سورة آل عمران: ١٦٤]، وفي هذا النعت دلالة امكانية نفاذ الرسولﷺ إلى أعمق مسرب من مسارب النفس والاتساع لكلّ جوانب الإنسانيّة

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٤/ ٣٥٤.
(٨) ينظر: معجم الفروق اللغوية: ٢٩٢.
(٩) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن(شهد): ٦/ ١٣٥.
(١٠) ينظر: النبي في القرآن، الشيخ جاد الحق علي جاد الحق: ١٠.

لأنّه منهم ومن صميمهم [١١].

ما تناولناه نعوت صريحة وردت في القران دلة بشكل صريح على نبوة الرسولﷺ ووجوب اتباعه، وهناك الكثير من النعوت الغير صريحة التي وردت في سورة البقرة، آل عمران نذكرها فقط للفائدة وهي: (التالي، والمعلم، واللين، والمشاور، والعروة الوثقى).

وبعد إن بين الشاعر النعوت التي أعلمنا الله اياها، أشار إلى إنكار القوم له من الرجال والنساء وعد الإيمان بنبوتهﷺ، وذلك بقوله: (قَدْ أَنْكَرُوْهُ عَلَى عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ...) أراد الشاعر بذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[سورة البقرة: ١٤٦].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٥٩].

قال ابن عباس: نزلت في رؤساء اليهود: كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد ومالك بن الضيف وغيرهم، كانوا يتمنون أن يكون النبي منهم، فلما بعث محمدﷺ خافوا أن تذهب مأكلتهم من السفلة، فعمدوا إلى صفة النبيﷺ فغيروها في كتابهم ثم أخرجوها إليهم، فقالوا: هذا نعت النبي الذي يبعث في آخر الزمان، وهو لا يشبه نعت النبي الذي بمكة، فلما تطرق السفلة إلى صفة النبي من التي غيروها جحدوه لأنهم وجدوه مخالفاً[١٢].

والمراد كذلك ما كانت اليهود تصنع ببشارات النبوة فما يجهله الناس لا يظهرونه لهم، وما يعلم به الناس يؤولونه بصرفه عنهﷺ[١٣].

وفي قول الشاعر: (فِيْ «آلِ عُمْرَانَ» مَتْلُوٌّ..)، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى

(١١) ينظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون، الحلبي: ٦/ ١٤١.
(١٢) عمدة القاري: ١٢/ ١٨٨.
(١٣) ينظر: تفسير الميزان: ١/ ٣٨٨.

﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[سورة آل عمران: ٨٦]، وفيه إشارة كذلك إلى إنكارهم الرسول الأكرمﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[سورة آل عمران: ١٤٤].

فهم مع علمهم بما للنبي من الصفات، والبشارات التي بشر بها الانبياء، وانهم كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم، لكنهم كانوا ينكرونه.

وقد عقد الشاعر بقوله: (كَمَا بِعِيْسَىْ جَرَى فِيْ كُفْرِ «مَائِدَةِ» الْـ..) مماثلة تشبيهية بين نكران الكفار من الرجال والنساء للنبيﷺ، وبين أطر اف مختلفة وهي: قوم النبي عيسىعليه السلام الذين خبأوا وترفعوا وخانوا، بعد نزول المائدة عليهم التي طلبوها من النبي عيسىعليه السلام، كما ورد في القران الكريم: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[سورة المائدة: ١١٥] وكان النبي عيسى عليه السلام اخذ العهد منهم بقوله: فإنها -أي المائدة -مقيمة لكم ما لم تخونوا وتخبأوا وترفعوا[١٤]، وشبه الشاعر كذلك القوم الذي كفروا بالنبي محمد وأنكروه، بقوم يونس وهود ويوسف وقوم إبراهيم عليهم سلام الله جميعاً، الذين كذبوا أنبيائهم، وراحوا يستهزئون بهم، والذين قذفوا نبيهم في النار وهم قوم إبراهيمعليه السلام.

ثم راح الشاعر يتمنى لهؤلاء القوم العذاب بالرعد بقوله: (يَا لَيْتَ «بِالْرَّعْدِ» ثُمَّ النَّارِ قَدْ حُرِقُوا) -والمقصود منه هنا: رجرجة تأخذ الإنسان من فزع أو داء[١٥] -، والنار التي توعدهم الله بها يوم القيامة.

المقطع الثالث: فيه يسلط الشاعر الضوء على بعض معجزات النبي محمدﷺ ومدحه، ويبتدئ من البيت (١٥) إلى البيت (٢١)، وقد ضمن الشاعر في هذا الجزء

(١٤) تفسير الصافي: ٢/ ٩٨.

(١٥) ينظر: العين: ٢/ ٣٣.

من القصيدة تسعة سور، جاءت سبع منها بأسمائها بشكل صريح، واثنان عبّر عنهما بأولها وهي سورة (الكهف)، فقد أشار إليها بـ (الحمد لله)، وسورة (الفرقان) فقد أشار إليها بـ (تبارك).

وقد استفتح الشاعر هذه المقطوعة بالتشبيه التام بقوله: («كَمَرْيَم» حِيْنَ نَجّاهَا مِنَ الْعَطَبِ...)، حيث شبه حاله والنعم التي منّ الله بها عليه، بحال مريم عليها السلام التي نجاها الله عز وجل من الهلاك.

المقطع الرابع: وفيه سلط الشاعر الضوء على شجاعة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والتوسل بقبره الشريف وهذا المقطع من البيت (٢٢) إلى البيت (٣٠)، وفي النص إشارة إلى المعجزات التي حصلت مع الأنبياء، ومنها يذكر قصة النمل مع النبي سليمان، وقصة العنكبوت في غار حراء، ثم يعرج على لقمان وحكمته، ثم يعرج على شجاعة النبي وحكمته، ثم الحث على التوسل بالنبي، والدخول إلى حضرته الشريفة بكل أدب.

المقطع الخامس: في طلب الشفاعة من الرسول الأكرم وذكر أهوال يوم القيامة وهو من البيت الـ (٣١) إلى (٥٠)، وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((أربعة أنا الشفيع لهم يوم القيامة ولو آتوني بذنوب أهل الارض: معين أهل بيتي، والقاضي لهم حوائجهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه، والدافع عنهم بيده))[١٦].

المقطع السادس: ذكر مسجد وقبر النبي والتوسل به وهو من البيت الـ (٥١) إلى (٦٧)، و لقد نصت الكثير من الأحاديث والروايات على فضل المسجد النبوي، والعبادة فيه، وأول هذه الأشياء قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[سورة التوبة: ١٠٨].

وعن النبي صلى الله عليه وآله «صلاة في مسجدي هذا تعدل ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة في غيره»[١٧].

(١٦) الأمالي: للشيخ الصدوق: ٥٧٤.

(١٧) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ٣٧٣.

ورُوي عن أنس بن مالك أن النبي محمد قال: «من صلَّى في مسجدي أربعين صلاةً لا تفوته صلاةٌ كُتِبت له براءةٌ من النَّار وبراءةٌ من العذاب وبرِئ من النِّفاق»[١٨].

المقطع السابع: الخاتمة.

وَالحَمْدُ لله قَدْ تَمْتْ مُكَمّلَةً ... مَيْمُوْنَةً بِأَسَامِيْ أَشْرَفِ الْكُتُبِ

يَا رَبِّ وَاخْصُصْ لِنَاظِمِهَا بِمَغْفِرَةٍ ... وَرَحْمَةٍ يَا جَمِيْلَ الْعَفْوِ فَاسْتَجِبِ

المَكْتَبِيّ أَسِيْرُ الذّنْبِ فِيْ وَجَلٍ ... لَكِنّ حُسْنَ الرَّجَى يُنْجِى مِنَ الْعَطَبِ

وَالتّابِعِيْنَ لِشَرْعِ الله قَاطِبَةً ... فِيْ سَائِرِ الدّهْرِ مِنْ عَجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ

ثُمّ الصّلاةُ عَلى مَنْ كُنَّ رَاحَتَهُ ... أَطْرَى مِنَ الْوَرْدِ بَلْ أَسْخَى مِنَ السُحُبِ

وَالآلِ وَالْصُحْبِ مَنْ فَازُوا بِرُؤْيَتِهِ ... وَكَانَ كُلٌّ عَلى الكُفَّارِ كَالشُهُبِ

في هذه المقطع ينوه الشاعر بانتهاء القصيدة طالبا من الله تعالى أن يتقبل منه عمله ويغفر له، ولجميع المسلمين.

المصـــــادر:

القران الكريم.

- تحفة الأحوذي: للمباركفوري (ت ١٢٨٢هـ)، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١/ ١٤١٠هـ.
- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: لورام بن أبي فراس المالكي الأشتري (٦٠٥هـ)، دار الكتب الإسلامية/ طهران، ط٢/ ١٣٦٨ش.
- الخلاف: للشيخ الطوسي(ت ٤٦٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة

(١٨) كنز العمال: ١٢/ ٢٥٩.

المدرسين/ قم المقدّسة، د. ط/ ١٤٠٧هـ.

- كنز العمال: للمتقي الهندي (ت٩٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ بكري حياني، مؤسسة الرسالة/ بيروت، د. ط/ ١٤٠٩هـ.
- منتهى المطلب: للعلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، مجمع البحوث الإسلامية/ مشهد، ط١/ ١٤١٩هـ.